العرب
الإثنين 2019/11/18
السنة 42 العدد 11532

«إيليبس» مغامرة الفرد الواحد في كوكب مهجور

فيلم خيال علمي عالج ثيمة الانهيار العظيم بلا مفاجآت تنعش الأحداث

تبدو صورة الانهيار العظيم مألوفة في العديد من التجارب السينمائية، وخاصة في أفلام الخيال العلمي. صورة تتجسّم من خلالها الحياة المغيّبة وغياب النشاط البشري المعتاد ليعمّ الخراب، إما بسبب الحروب وإما الأوبئة وإما ثورة الطبيعة. وخلال ذلك لا بد من وجود ناجين من تلك التراجيديا، حيث تركز أغلب الأفلام على مفردات عيشهم وحياتهم اليومية وكيف يواجهون ذلك الواقع الجديد الذي وجدوا أنفسهم فيه.

طاهر علوان
كاتب عراقي مقيم في لندن

ناج وحيد في عالم فسيح

في فيلم "إيليبس" للمخرجين جو بلاند وكرانت مارتن، تحظر ثيمة الديستوبيا في بلاد وأرض مجهولة، لكن الحال نفسها تتحوّل إلى كوكب ناء ينتقل إليه رائد الفضاء ويليامز (الممثل جوسيا أوثير) عندما يفقد السيطرة على المركبة، وينتهي به الأمر بالهبوط الاضطراري على كوكب مجهول، وهنا تبدأ معاناته في الكوكب المقفر وليس معه سوى كلبه.

منذ المشاهد الأولى تتكشّف لنا بيئة تفيض جمالية، حيث تكمن العناية بالتصوير، خاصة في اللقطات العامة التي أظهرت مساحات واسعة من الطبيعة التي لا يوجد فيها سوى ويليامز وكلبه.

وهذا الثلاثي: الفضائي والطبيعة والكلب، سوف ينفتح على انتماء نفسي وعاطفي ملفت للنظر، وكأننا نعود بالإنسان إلى سيرته الأولى وهو يكتشف الطبيعة ويكتشف النار، وهو ما كان يفعله ويليامز.

سنفتّش في دفتر الذاكرة الذي يحمله ويليامز من ذكريات وماض، تلوح فيه امرأتان غارقتان في ضباب الذاكرة المشوّشة، الأم من جهة والحبيبة من جهة أخرى.

مشاهد العودة إلى الماضي سوف تقدم لنا ويليامز مع حبيبته على الشاطئ وقد افترقا دون الكثير من الحوار ولا الثرثرة كما هو معتاد في مثل هذه المشاهد. لعلها إزاحة متكرّرة للوحدة والعزلة، وهو ما يلاحق ويليامز طويلا خلال مساحة السرد الفيلمي، من هو؟ ماذا يريد؟ وبماذا يحلم وهو في عزلته ووحدته؟ واقعيا، اعتمد السرد الفيلمي على ثلاث شخصيات رئيسية. الحاضرة بشكل مباشر هي ويليام بكل تأكيد، فيما الزوجة والحبيبة غائبتان لا تستدعيهما سوى مشاهد العودة إلى الماضي (فلاش باك).

ولكن وفي وسط هذه العزلة لا بد من البحث عن وسيلة للنجاة، وهو ما يسعى إليه ويليامز، لكن من دون جدوى، فالاتصالات معطلة وإمكانية أن يجد سبيلا للنجاة تتضاءل في كل مرة.

يمكن رسم خريطة الحياة التي عاشها ويليامز في كنف الطبيعة على أنها نوع من الاتصال الشعوري والعاطفي الذي يفيض شاعرية من خلال اللقطات والمشاهد التي برع فيها عنصر التصوير والمونتاج في إبراز تلك الجماليات. وخلال ذلك حاول المخرجان وبقليل من الحوار أن يُسدّا الكثير من الثغرات التي تتعلق بعدم وجود شخصيات إضافية أخرى تظهر بشكل مباشر، ولهذا كان حوار الشخصية نوعا من المناجاة الذاتية التي أراد من ورائها الخروج من الأزمة التي هو فيها.

> خيار الممثل الواحد، هو أحد أكثر الخيارات صعوبة في الدراما السينمائية، لكن هل كان ذلك ضروريا في فيلم «إيليبس»

ومن جانب آخر، هناك الانتقالات المتلاحقة القائمة على فكرة اكتشاف المكان، حيث قدّم الفيلم سلسلة من الأماكن التي راح ويليامز يستكشفها تباعا من الغابات إلى الصحارى وغيرها، وقد بذل فريق العمل مجهودا في تلك الانتقالات وإبراز جمالية المكان.

وفي ما يتعلق بذلك التنوع المكاني فقد ارتبط بشكل مباشر مع الحالة النفسية والإنسانية التي وجد ويليامز نفسه فيها، وهو يحاول النجاة من المأزق الذي وجد نفسه فيه، ولكن في المقابل كانت هنالك حاجة للمزيد من الإقناع في تلك الأحداث في حد ذاتها.

ويبدو أن الحوار القائم بين ويليامز وأمه أو في استذكاره لحبيبته كان هو القناة الوحيدة التي صار يجد فيها خلاصه، وأنه جزء من هذا العالم بسبب العزلة التامة التي وجد نفسه فيها والتي كان لا بد من كسرها بوسيلة أو أخرى.

لا شك أن خيار الممثل الواحد هو أحد أكثر الخيارات صعوبة في الدراما السينمائية، بل هو تحد لجأ إليه المخرجان ومن خلاله قدّما فيلما ينتمي إلى نوع الأفلام قليلة التكلفة، لكن هل كان ذلك ضروريا؟ وهل نجحا في المهمة؟

واقعيا، يكتسب هذا النوع من الدراما خاصية مهمة وهي إيجاد العديد من الحبكات الثانوية التي تصعّد الدراما من جهة، وتدفع الجمهور إلى المشاهدة والاستمتاع بما هو جديد من جهة أخرى، لكننا لم نجد في هذا الفيلم الكثير ممّا نبحث عنه.

هناك ضعف واضح في السيناريو وعدم استثمار متعة الاكتشاف في ذلك المكان شبه الديستوبي لتحقيق مفاجآت وتحوّلات تنعش الأحداث، وتخرجها من رتابتها، فاليوميات التي تعيشها الشخصية كان لا بد من تطويرها باتجاهات متعددة تمنح الفيلم المزيد من المتعة في المشاهدة.

وفي ما يتعلق بالرحلة عبر الفضاء، فلا شك أن هناك تبسيطا بصريا ملحوظا في هذا الجانب، فالمركبات الفضائية، بحسب ما تراكم من أفلام الخيال العلمي وغزو الفضاء، يتم بناؤها بشكل مختلف ومتطوّر على عكس ما ظهرت عليه في "إيليبس"، كما أن منظر الفضاء الخارجي صار مألوفا، ولنا في سلسلة "ستارتيرك" خير نموذج، أما هنا فقد تخيّلنا للوهلة الأولى أن رحلة المركبة الفضائية لم تكن إلا لعبة من ألعاب الفيديو، وفي ذلك فقر في الجانب البصري.

الرسام وحياته

فاروق يوسف
كاتب عراقي

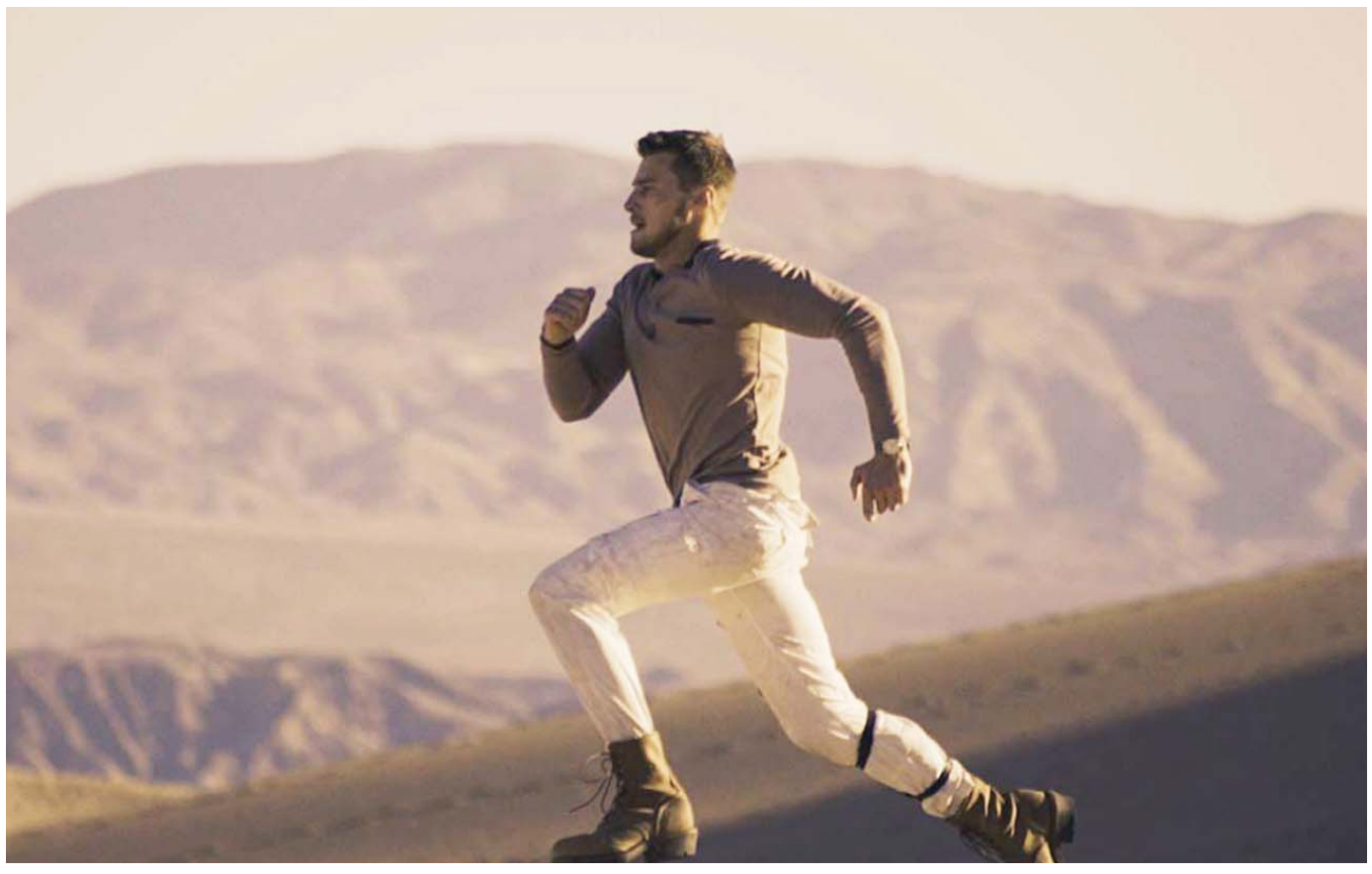

لغة الشعر العربي ليست هي لغة الحياة اليومية. سعدي يوسف وحده حاول أن يقترب نسبيا بشعره من اللغة اليومية. غير أنها محاولات ظلت مقيدة بتاريخ من الانفصال العميق بين لغتين.

تلك مشكلة ثقافية شاملة ألقت بظلالها على كل الفنون ومنها فن الرسم. فالرسام العربي يعيش انفصالا تاما عن حياته حين يرسم. فلا تعرف من خلال رسومه أي شيء عن حياته، في أي عصر عاش؟ هل كان فقيرا أم غنيا؟ ما المشكلات التي واجهته؟ ما شكل المرأة التي أحبها؟ وغيرها من الأسئلة التي تتعلق بالحياة المباشرة.

من وجهة نظري، وأنا مطلع على تجارب العديد من الرسامين العرب، فإن معظمهم قد فشل في اختراق المسافة التي تفصل بين فنه وحياته، بل إنه لم يحاول القيام بتلك المحاولة. كان فنه في مكان وحياته في مكان آخر.

فالرسام السوري الذي غادر بلاده منفيا إلى أوروبا استمر في الرسم كما لو أنه لا يزال يمشي بين أزقة دمشق. ذلك المثل يصحّ على المئات من الرسامين العراقيين الذين غادروا إلى بلاد الشتات وما زالوا يرسمون كما لو أنهم في بغداد. تلك مفارقة تكشف عن أزمة تتعلق بطريقة تفكيرنا في الرسم. تلك طريقة قاصرة في فهم الرسم والتعرّف على وظيفته في الحياة.

ما سها عنه الرسام العربي، أنّ الرسم ليست تقنيته أنْ يرسم بحكم العادة من غير أن ينظر إلى متغيرات حياته. ولا بد هنا من أن أتذكر الرسام التونسي علي بن سالم. حين انتقل بن سالم إلى العيش في السويد صارت رسومه تحمل طابعا سويديا، فلم يعد يرسم نساء تونسيات كما اعتاد من قبل، بل صارت نساؤه سويديات. أحلامه وحدها ظلت تعيده إلى تونس.

الرسام الحقيقي يشتقّ من حياته مفردات رسومه. فالرسم ليس كالشعر. إنه حياة مباشرة يضعنا الرسام من خلالها في خضم تجاربه الإنسانية التي عاشها. نحن نتعرّف على الرسام من خلال رسومه.

هانس هارتونغ: عاشق الحرية الذي سبق الستريت آرت بأعوام

بعد سنة من أشغال الصيانة والترميم، يعود متحف الفن الحديث بباريس إلى سالف نشاطه، بإقامة معرض لرائد من رواد الفن التجريدي هو الفرنسي من أصل ألماني هانس هارتونغ، الذي يظل محدود الانتشار في بلده الثاني فرنسا، رغم كونه من أهم الفنانين في القرن العشرين.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

من الفنانين الكبار الذين تركوا بصمة في حركة التجديد إبان القرن العشرين الفرنسي، الألماني الأصل، هانس هارتونغ (1904–1989)، وقد خصه متحف الفن الحديث بمدينة باريس بمعرض يتواصل حتى مطلع مارس المقبل، اختار له ثلاث مئة عمل فني من جملة خمسة عشر ألفا أنجزها هارتونغ طيلة حياته، منذ مطلع العشرينات إلى أواخر السبعينات.

ولد هارتونغ في ليبزيغ، وكان مولعا منذ صغره بعلم الفلك والتصوير الشمسي حتى أنه صنع منظارا خاصا لملاحظة أجزاء من الواقع الذي سوف يقارب من بَعد مظهره التجريدي.

التحق بمعهد درسدن عام 1924 وولع برامبرانت، وغويا، وفرانس هالس ولوغريكو، ثم بالتعبيريين الألمان وفي مقدمتهم أوسكار كوكوشكا وإميل نولده، وكان ينسخ أعمالهما على طريقته بتبسيط تشكيلها والاحتفاظ منها بكتل ملونة. وكانت تلك بداية اقتحامه تجربة التجريد، التي أفرزت أعمالا كثيرة لم تعرض إلا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.

وكان قبلها قد انضم إلى أكاديمية الفنون الجميلة بدرسدن، حيث اكتشف الفن الفرنسي، من الانطباعية إلى التكعيبية، وزار في الأثناء العديد من المدن الأوروبية قبل أن يستقرّ في باريس، ويشرع في ارتياد أروقة الفنون الشهيرة، والسفر إلى بعض البلدان المجاورة كبلجيكا وهولندا، حيث تعرف على الفنانة النرويجية أنّا إيفا برغمان التي ستكون شريكة حياته، ويعتلي اسمها المؤسّسة التي سوف يضع هندستها هارتونغ في مدينة أنتيب جنوبي فرنسا.

في أواسط الثلاثينات، زار ألمانيا في أوج صعود النازية، فأوقف وسجن، وما كاد يستعيد حريته حتى تسلّل إلى فرنسا، وتجنّس بجنسيتها، وانخرط في المقاومة. وكان قد تعرّف قبل الالتحاق بجبهة القتال بكادينسكي، وموندريان، وألبرتو مانيلي، وسيزار دويلا، وميرو وكالدر. وقد اتسمت تلك الأعوام بتطوير منهجيته التي وصفها بالعفوية المدروسة.

كان هارتونغ دائم البحث والتجريب، ورائد ثورة فنية حرّرت الحركة، يسكنه هاجس التحرّر من كل قيد. ومنذ صعود الفاشية في بلاده ألمانيا إلى وضعه البائس في فرنسا ما بعد الحرب، ما انفك يطوّر تجربته مدفوعا برغبة الانعتاق والتحرّر، ولم تفلح الحرب ولا البؤس ولا الإعاقة في كبت هوسه بالفن.

لم يتخل عن أقلامه وفرشه حتى في جبهة القتال، إذ كان لا يتوقّف عن رسم وجوه مؤثرة، في لوحات تذكر بأبطال غيرنيكا لبيكاسو. وجوها يسكنها الرعب، بعيون جاحظة وأفواه فاغرة، رسمها عام 1940 عندما سقطت باريس في قبضة النازيين.

لوحات متحررة من كل قيد

وظل على تلك الحال حتى أصيب بشظية عام 1944 في حملة تحرير مقاطعة الألزاس، فاضطر إلى بتر رجله اليمنى، ولكن تلك الإعاقة لم تمنعه من مواصلة الرسم، إذ ابتكر طرقا تعتمد على الحركة، استفاد منها من بعده الأميركي جاكسون بولوك في ما سمّاه لوحة العمل التي تعبّر عن عفوية الفنان واندفاعه، وتتميّز بحركات خطوطية، متسعة وسريعة ومتوترة.

وقد اعتاد أن يستعمل مسدس سمكري السيارات، ومرش طلاء كبريت، ومكنسة بأغصان رتم منقوعة في الدهن يرشّ بها القماشة، وشفاطة مقلوبة، وبخّاخة، وبكرة كتلك التي تستعمل في حضائر البناء للتسطير والحك والكشط، أي أنه سبق الستريت آرت بأعوام، محدثا ثورة في عالم الفن، مبتكرا تجريدية جديدة دون خلفية رمزية أو جمالية. ولا يعني ذلك أنه مزخرف أو شكلاني، بل هو عاشق للمادة وملتحم بها. في لوحاته مباعدة حقيقية تدفع المشاهد إلى التطلع إليها بالمراوحة بين الاقتراب منها حينا والابتعاد عنها حينا آخر، بحسب اختلاف أحجامها.

ويضم المعرض الباريسي نحو ثلاث مئة عمل فني تعكس ثراء الابتكارات التقنية وتعدّد الوسائل التي استعملها هارتونغ طيلة ستة عقود، فقد وضع التجريب في صميم عمله ليتمثل حداثة بلا حدود، حيث تتجلى تجارب على اللون والحجم كمنهج صارم، كذلك التأطير والتصوير الشمسي والتكبير والتكرار وحتى استنساخ عدد من الأصول التي أنتجها ليفتح الباب على نسق حداثي سار عليه من بعده عدة فنانين أبرزهم الفرنسي بيير سولاج.

> هانس هارتونغ وضع التجريب في صميم عمله ليتمثل حداثة بلا حدود، حيث تتجلى تجارب على اللون والحجم كمنهج صارم

وقد بني المعرض على متتالية لقطات كرونولوجية في أربعة أقسام أساسية، تتألف من اللوحات الزيتية وحدها، ومن صور شمسية تشهد على هذه الممارسة التي رافقت بحثه الفني. وتبرز من بينها أعمال خطوطية، وطبعات مصوّرة، وتجارب على الخزف، ومنتخبات من الحصى الأملس مطلية بشتى الألوان.

كما يقترح المعرض جملة من الوثائق تضم أرشيفا، كتبا، مراسلات، دفاتر، رسوما تخطيطية، يوميات، كتالوجات، لافتات، صوار، وأفلاما وثائقية تنزّل الفنان في علاقته بعصره وموقعه من تاريخ الفن الحديث.

لقد عاش هارتونغ وفيا للفن وحده، يمارس حريته بامتلاء، وقد عبّر عن ذلك في قوله، "أريد أن أظل حرّا، من جهة العقل والفكر والفعل. ولا أدع نفسي حبيسا لا من طرف الآخرين، ولا من طرف ذاتي".